المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يتفق الملكة من بناة ومن بيوت الملكة قد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الالباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق

مصر ١٥ رمضان ١٣٣٤ — ٢٣ السرطان (ص١) ١٢٩٤ هـ ش ١٥ يوليو ١٩١٦

العصبية الجنسية التركية

(وعاقبة قتل نابغي العرب بسوريه)

لعلنا قد سبقنا جميع الكتاب الى بيان خطر العصبية الجنسية على الدولة العثمانية في عصر الدستور فاننا أشرنا الى ذلك في أول مقالة كتبناها عند حدوث الانقلاب واعلان الدستور اذ كان جميع العثمانيين يصفقون طربا ويحسبون انهم نالوا السعادة صفوا من كل كدر، آمنين من كل خطر. تلك المقالة التي جعلنا عنوانها (عيد الامة العثمانية بنعمة الدستور والحرية) ونشرناها في (ج ٦ م ١١) الذي صدر في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ (٢٨ يوليو و ١٥ تموز) أي بعد اعلان الدستور بأربعة أيام . وقد جاء فيها بعد بيان مزايا هذه النعمة ما نصه :

« ان امامنا عقبات كثيرة (منها) ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية الجميلة التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، ويهيمون بها شغفا (ومنها) ما هو أقرب الى الوقوع — كالنزاع بين الاحرار المستقلين ، وبين المتعصبين والمقلدين ،

(ومنها) مسألة الجنسية العثمانية ، وما يقف في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، فمن المطالب بالنظر في ذلك ؟ »

ثم أنشأنا بعد شهر مقالة أخرى نشرناها في (ج ٧ م ١١) أوضحنا فيها خطر اختلاف الاجناس وشدة الحاجة الى تكوين جنسية عثمانية تتحد فيها جميع الاجناس والملل ، وبينا ان الواجب على أحرار الترك وعقلائهم ان يبدؤا بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية (اللغوية) ولا سيما زعماء جمعية الاتحاد والترقي منهم ، لان دعوتهم هي التي يرجى ان تسمع ويستجاب لها . ثم كررنا الكتابة في ذلك كثيرا

وقد رأى الاتحاديون عقب الانقلاب باظهار الرغبة في الوحدة العثمانية وكراهة العصبية الجنسية فحمدنا ذلك لهم كتابة وخطابة . ولكنهم ماعتموا ان نزعوا ثوب الرياء الشفاف بعد ان استقرت سلطتهم ، فنبذوا الجنسية العثمانية وراء ظهورهم ، ونهضوا بالجنسية التركية بغلو واسراف وعجلة خارجة عن طور العقل . فنصحنا لهم أولا بالكتابة وبينا لهم أن تحويل العربي عن عربية والألباني عن ألبانيته والارمني عن أرمنيته والرومي عن روميته مما يستحيل في هذا العصر ، وانه لو كان ممكنا لعذرناهم في محاولة تتريك جميع الشعوب العثمانية سياسة لادينا

ثم قصدت الى الاستانة للسعي الى منع التفرق بين العرب والترك وتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد فيها ، ونشرت في جرائدها مقالات (العرب والترك) المعروفة لقراء المنار فجعلتها تمهيدا للسعي في الوفاق ومنع سريان التفرق الجنسي ، اذ بينت فيها ضرورة اتحاد هذين العنصرين مع محافظتهما على لغتهما ، وانه يجب أن يكونا كعنصري الهواء أو الماء في تكوينهما لحقيقة واحدة — اعني الجنسية السياسية العثمانية — وبينت فيها أسباب الخلاف ومثاراتها في الاستانة وما أخطأت به وزارات الدولة وجرائد العاصمة وجمعياتها في ذلك فنقم العرب منها . فكان اول من شكر لي هذا السعي واهتم به ووعد ببذل نفوذه لتلافي الخلاف حسين حلمي باشا الصدر الاعظم في ذلك العهد ، وكان من سوء الحظ ان اجل صدارته لم يطل ، فصرت أراجع في هذه المسألة طلعت بك ناظر الداخلية الذي كانت — ولا تزال — ازمة الحكومة بيده فكان يعدني بتخصيص وقت للبحث معي في هذه المسألة

وانقضت السنة التي قضيتها في الآستانة ولم يف بوعده ، على انه وفى لي بعدة جلسات في داره وفي الباب العالي للنظر في المسألة الاخرى — أي مشروع العلم والارشاد ، ولكن لم يكن لذلك ثمرة

وقد علمت في اواخر ايامي في الآستانة ان الاتحاديين قد صمموا على حل مسألة الجنسيات بالقوة القاهرة وانهم بدأوا بالتنكيل بالارنؤط وسيتلوهم الارمن والعرب والاكراد . وقد كان هذا احد الباعثين لي على تلك الحملات الشديدة التي حملتها على جمعية الاتحاد والترقي في المنار، والباعث الثاني هو الديني ولا ابحث فيه الآن

لم اكن انا الذي قاومت الجمعية بالكلام وحدي بل كانت المقاومة لهم بالقول والعمل على اشدها في الآستانة وسائر بلاد الترك حتى آلت الى تسلل الالوف من جمعيتهم، ثم الى قيام الاحزاب في مجلس الامة عليهم، ثم الى تأييد الجيش لحزب الحرية والائتلاف في اسقاط وزارتهم ، ومما يجب ان يذكر انهم اعترفوا في اثناء ذلك الجهاد و بعده بأنهم كانوا يريدون تتريك جميع عناصر الدولة وانهم رجعوا عن ذلك

ولما عادت الوزارة اليهم باغتيال ناظم باشا ناظر الحربية في الباب العالي والقبض على كامل باشا الصدر الاعظم فيه هالنا الامر وخفنا من وقوع الفوضى في الآستانة والدولة في حال حرب مع البلقان غلبت فيه على أمرها ، ولكن وزارة كامل باشا لم يكن لها حزب يؤيدها، اذ كان حزب الحرية والائتلاف غير متفق معها، ثم عقدت الوزارة الاتحادية الصلح وأنشأت تعقد مع الدول الكبرى الاتفاق تلو الاتفاق على جعل البلاد العثمانية مناطق نفوذ اقتصادي لهن ، وتقترض عشرات الملايين منهن ، و بدأت بالعراق العربي فاعترفت للانكليز فيه بما طلبوا من النفوذ والحقوق، فانكرنا ذلك عليهم أشد الانكار، ولم يمنعهم ذلك طبعا من الاتفاق مع فرنسة على نفوذها في سورية الخ

على أننا لما رأينا البلقانيين قد انتصروا على الدولة في الحرب حتى كادوا يستولون على الآستانة علمنا ان الخطر على الدولة أقوى وأسرع مما كنا نخشى ، وان الدولة اذا كانت قد عجزت عن حفظ الروملي وهو سياج الآستانة وحصنها امام البلقان ، ومعظم قوتها الحربية هنالك و باقيها على حدود الروس، فلابد أن تعجز بالاولى عن الدفاع عن بلادنا العربية اذا هجمت عليها دولة قوية، اذ ليس في بلادنا حصون ولا سلاح، وكان

هذا الامر منبها لكثير من أهل الغيرة والفهم من العرب الى ما سبقهم بعض أذكياء الترك الى الدعوة اليه وهو وجوب جعل ادارة الدولة من نوع اللامركزية لان ذلك ادعى الى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه عند عجز المركز العام عن الدفاع عنه

تأسس حزب اللامركزية بمصر في أثناء حرب البلقان وسرت دعوته في المملكة العثمانية كلها ولم يكن للحكومة الاتحادية وجه للشكوى منه لانه حزب عثماني يحاول الوصول الى غايته من الطريق القانوني الذي ينتهي الى مجلس الامة، وتأسست في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية في بيروت باذن الحكومة فشذت في موضوع ما طلبته من تعيين مستشارين ومراقبين للحكومة من الاجانب وأنكرنا عليها شذوذها في المنار، ثم أنشئت جمعية أخرى في البصرة صارح رئيسها طالب بك النقيب حكومة الاتحاديين بالإنكار بل بالعداء، وقد كادت الجمعية له فحاولت اغتياله فلم تظفر، ثم حاسنته وكافته السعي للتوفيق بينها وبين الامير ابن سعود فبذل جهده في ذلك

ثم تعلقت رغبة كثير من أذكياء العرب بعقد مؤتمر عربي في باريس لاظهار مطالب العرب الاصلاحية للعالم كله، وعهدوا بذلك الى حزب اللامركزية فعقد المؤتمر وحضره مندوبون من البلاد العربية والجمعيات العربية واختير لرياسته السيد عبد الحميد الزهراوي أحد مندوبي حزب اللامركزية، وكان المؤتمر في غاية الاعتدال في مباحثه وقراراته

حينئذ اهتمت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها بأمر العرب وأوفدت مندوبا من زعمائها الى باريس للاتفاق مع رئيس المؤتمر على إجابة العرب الى ما يطلبونه من الاصلاح المعقول، وعقدا ذلك الاتفاق المشهور، ثم قرر مجلس الوكلاء وصدرت الارادة السلطانية ببعض مواد ذلك الاتفاق مع الوعد بأن تعطى العرب حقوقا أخرى بالتدريج، وكل ذلك مدوّن في كتاب (المؤتمر العربي الاول) ونشر في المنار وفي الجرائد العربية المشهورة. ولكن ما تقرر من ذلك لم يرض جمهور المطالبين بالاصلاح من العرب، وقد عده أكثرهم خديعة مؤقتة من الاتحاديين، وكان فريق منهم أشهرهم الزهراوي وعبد الكريم قاسم الخليل يرجحون اخلاص الاتحاديين وعزمهم على ارضاء العرب دائما. وقد كان من اظهار الاتحاديين الميل الى العرب أن صار أكبر زعمائهم كطلعت بك يحضرون الاحتفالات التي يقيمها أعضاء المنتدى الادبي في الآستانة

هذه خلاصة ما كان من أمر الخلاف والوفاق بين العرب والترك أو الاتحاديين منهم خاصة قبل هذه الحرب ، فلما وقعت الحرب بين الدول الكبرى وعلم طلاب الاصلاح من العرب أن دولتهم تريد أن تستفيد منها وتوقعوا أن تدخل فيها، كفوا جميعاً عن المطالبة بالاصلاح، وأظهروا الميل الى تأييدها في كل ما تقرره وان لم يعتقدوا أنه الصواب، حذرا من المنازعات الداخلية ، وقد حبذنا عملهم هذا بمقالة نشرناها في جريدة الاهرام التي صدرت في سادس ذي القعدة ١٣٣٢ (١٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) أي قبل دخول الدولة في الحرب ، ثم في منار ذي الحجة أي بعد دخول الدولة في الحرب . وقد قلنا في أول تلك المقالة وهي خطاب لمسلمي سورية ما نصه:

« ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والهمة، في الاخلاص والطاعة للدولة، وبذل الانفس والاموال والثمرات لها ، والكف المؤقت عن طلب الاصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة قدرها ، حتى انكم ساهمتم في هذا أرقى أمم الارض التي سكتت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية » الخ

وماذا جرى بعد ذلك ؟ ولى الاتحاديون جمال باشا أحد زعمائهم منصب القيادة العامة في سورية فأظهر الميل التام الى العرب وصار يقرب اليه أذكياء المتعلمين منهم ويحثهم على الاستمساك بعروة عربيتهم وعثمانيتهم معا ، فصدقوه وازدادوا حماسة ورغبة في بذل دمائهم وأموالهم في سبيل الدولة، حتى اذا ماتم له ما أراد من الاختبار، نزع عنه ثوب الرياء والمكر ، ولبس لهم جلد النمر ، وقتلهم تقتيلا ، ونكل بهم وبغيرهم تنكيلا

جاءتنا الاخبار في العام الماضي بأن جمال باشا شنق في بيروت احد عشر شابا من خيار شبان المسلمين منهم النابغة محمد المحمصاني وأخوه وعبد الكريم قاسم الخليل الذي كان رئيس المنتدى الادبي في الاستانة ثم اتصل بالاتحاديين وجعل جل سعيه اقناع العرب بالاخلاص لهم — فلم نصدق الخبر الا بعد ان وصل الى مصر بعض الفارين من الشنق و بعض الاسرى من الجيش وأثبتوا لنا الخبر . ولكننا مع ذلك لم نكتب كلمة انكار على جمال باشا ولا على شيعته لاجل العلة التي أشرنا اليها آنفا

ثم تواترت الانباء بشنق اناس آخرين من دمشق وغيرها بتهمة السياسة وقتل آخرين بالرصاص ونفي بيوت كثيرة الى الاناضول ، فثبت عندنا حينئذ ان

الاتحاديين اغتنموا فرصة الاحكام العرفية في البلاد، والقبض على الارزاق والاعناق، لاجل القضاء المبرم على النهضة العربية واكراه العرب بالقوة القاهرة على ترك لغة أمتهم ودينهم، وعدم المطالبة بحق من حقوقهم. ولكن الثابت في سنن الاجتماع وتاريخ الامم ان هذه الطريقة من الاضطهاد تؤدي الى ضد مايراد منها. وقد كنا قلنا من قبل ان الاسلام قد امات العصبية الجنسية في بلاد العرب الحضرية فلا يقدر على احيائها أحد الا حكومة الاستانة، ويمكننا ان نقول الآن انها قد كونت الجنسية العربية الجديدة وجعلتها خالدة، لانها زرعتها في البدو والحضر وسقتها بالدم، وبالدم استقل من استقل من جميع الامم، وكنا نخاف منهم هذه العجلة في هذه الايام، لئلا تجيء منافية لمصلحة الاسلام، إذ يخشى ان تكون هذه القسوة في اضطهاد العرب في سورية شبيا ليأس الامة العربية كلها من الدولة وجزمهم بأنه يستحيل عليهم ان يحافظوا على وجودهم تحت سيادتها، وان يحمل ذلك عرب الجزيرة على الخروج عليها، خوفا ان يحل بهم شر مما حل بغيرهم، فان الترك يحاربون اليمن وعسير ونجد منذ قرون فكل حكامها الحاضرين قد قوتلوا، وأمير مكة لاينسى لهم مافعله معه وهيب بك قبل هذه الحرب اذ حاول الفتك به وسلب امتياز الشرفاء من الحجاز وجعله كولايات الشام، ولما ظهر عليه الامير اظهرت الدولة الاستياء مما حصل ونسب الى الدفتردار. واسترضى الصدر الاعظم الشريف بالاعتراف له بجميع حقوق امراء مكة التي كانت في عهد السلطان سليم، ولكن الشريف يعرف ظواهر هذه الامور وبواطنها، بل لا يخفى على أحد من العقلاء ان الدفتردار لا يجرأ على احداث أمر كبير في الحجاز بدون أمر رئيسه (الوالي) وان الوالي لايجرأ عليه بدون أمر الاستانة، وأوامر الآستانة في عهد الاتحاديين قسمان — أوامر الجمعية وهي الحاكمة، وأوامر الحكومة وهي المنفذة، على انه يقيس وفاء الحكومة بما كتبه اليه الصدر الاعظم على وفائها العرب بالاتفاق الذي عقد مع رئيس المؤتمر العربي وما قررته في مجلس الوكلاء وصدرت به الادارة السلطانية من المطالب العربية

كان يجب على دولة الاتحاديين في هذا الوقت ان تتودد للعرب أكثر مما كانت تتودد اليهم بعد حرب البلقان، وان تتم بالفعل ما بدأ به أنور باشا من استمالة

امراء الجزيرة بالكتابة . وذلك بارسال السلاح والذخيرة والضباط من العرب اليهم لاجل ان يكونوا ذخرا لها اذا استظهر الروس عليها في الاناضول ، فاذا كان مثل انكلترة وألمانية تحسب الحساب لوصول أعدائها الى بلادها وتعد الآلات والجيوش لاجل الدفاع عنها ، أفليس الترك أجدر بذلك وهم لولا الالمان لم يستطيعوا حربا في ميدان ما من ميادين هذه القتال ، وحسبهم انهم فقدوا بحرب البلقان كل ما كان عندهم من ذخيرة وسلاح ، وهل يوجد لهم ملجأ يلجئون اليه اذا غلبوا في بلادهم الا العرب وبلاد العرب، بل العرب وبلاد العرب هي الملجأ الاسلام. ولذلك جاء في الحديث الصحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » وأنى يبالي بالاسلام وعز الاسلام ، من يفترون في دار سلطنتهم امثال كتاب [قوم جديد] و[صوت كتاب] التي يفضلون فيها زعانفهم الفاوين، على الخلفاء الراشدين، وعلى من دونهم من الاولياء الكرام ، ومن فوقهم من الانبياء حتى خاتمهم عليهم الصلاة والسلام

وأما العرب الذين أوجد الله بهم الاسلام ، فانهم أجدر الناس بالغيرة على المسلمين ودار الاسلام ، ولولا ذلك لما سكتوا على الضيم كل هذا الزمان، ونخشى ان يكون قد زال ما كانوا يحذرون ، ويئسوا من كل خير كانوا يرجون ، فيبدو للمنافقين ما كانوا يحذرون ، كما نخشى ان تكون عاقبة ذلك لغيرهم وهم لا يشعرون

انما يحرص سواد المسلمين الاعظم على حياة هذه الدولة لانه يهم كل مسلم أن يكون للاسلام دولة مستقلة قوية وهي امثل دول المسلمين في ذلك، وان كانت لا تقوم بدعوة الاسلام ولا تحيي علومه ولا تحمي شعوبه ولا أفراده ممن يريد بهم سوءا . ولكن لا يرضي أحدا من المسلمين ان تجني على لغة القرآن ، وان تضطهد العرب وتذلهم وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » (رواه ابو يعلى من حديث جابر بسند صحيح) وهذا الحديث من معجزات النبي (ص) ظهرت في هذا الزمان ظهورا بينا. فان الدولة قد تعرضت لخطر الزوال وفقد الاستقلال غير مرة، وانما كان يقيها منه تنازع أوربة على اقتسامها ، فاذا زال التنازع بزوال التوازن عقب هذه الحرب زالت الدولة بزواله ، وأكبر المصائب على الاسلام حينئذ ان تعد بلاد العرب تابعة لها، ومعدودة فيما يقسم بين الغالبين من تراثها اذ

يكون المسلمون حينئذ أدنى حالا من اليهود ، اذ يزول استقلالهم الديني والسياسي وهم في فقر مدقع لا يستطيعون معه عملا ، ولا توجد بقعة في الارض تمثل استقلال الاسلام غير بلاد العرب . ولولا جعل جزيرة العرب تحت سيادة الدولة العثمانية بعضها بالاسم وبعضها بالفعل لما تسنى لها ان تجعل نفسها دولة الخلافة ويعترف لها الناس والدول بذلك

فجملة القول أن مصلحة المسلمين عامة أن تكون بلاد العرب قوية بنفسها ، غير محتاجة الى قوة من خارجها لحمايتها ، (وقد بينا ذلك مرارا) ولا خطر في ذلك على الدولة اذا كان فيها من جرائم الحياة ما يكفي لبقاء استقلالها ، وانما الخطر كل الخطر في إضعاف العرب وجعل بلاد العرب عالة على غيرها ، وستظهر الايام صدق هذا الكلام ، ونسأله تعالى أن يكون بما فيه عز الاسلام .

(حاشية) كتبنا هذه المقالة لجزء الشهر الماضي فلم يتيسر نشرها فيه . ثم جاءنا روتر بنبأ اظهار أمير مكة الشريف حسين الاستقلال في الحجاز وسنفصل القول فيه في الجزء التالي لهذا ان شاء الله

حكم الصيام

وجناية تاركيه على أنفسهم وعلى المسلمين والاسلام

الصيام عبادة روحية جسدية ، قد شرع لما فيه من المنافع الشخصية والاجتماعية ، فهو يروّض الاجساد ، كما تعطش الزروع وتضمر الجياد ، فيفني الرطوبات والموادّ الرواسب فيها ، التي تصلّب الشرايين وتعيق حركة الدم فيها ، ويعيد المعدة المصابة بالتمدّد الى تقلصها وتقبضها ، حتى قال بعض الاطباء ان صيام شهر واحد (كرمضان) يصلح ما أفسده التمدد طول العام ، ويمرن المرء على احتمال الجوع والعطش بالاختيار ، فيسهلان عليه اذا ألجأه اليهما الاضطرار ، في سفر أو سجن أو مجاعة أو قتال ، ويشعر الاغنياء المترفين بحاجة الفقراء المعوزين ، ويساوي بينهم في هذه العبادة وآثارها كما يساوي بينهم في سائر شعائر الدين